تطور دلالة الخطاب في العهد النبوي

(دراسة في نظرية تحليل الخطاب)

(المحور السابع: جهود المسلمين في العصر الحاضر في خدمة السيرة النبوية)

إعـــداد

د. الصديق آدم بركات آدم

جامعة إفريقيا العالمية

السودان

تطور دلالة الخطاب في العهد النبوي
(دراسة في نظرية تحليل الخطاب)

د. الصديق آدم بركات (*)

مستخلص البحث:

موضوع هذا البحث هو التطور الدلالي الذي حدث للخطاب في العهد النبوي، ويهدف هذا البحث إلى الوقوف عليه.

أما أهمية هذا البحث فتكمن في تناوله قضية لغوية تتناول أحدث نظريات علم اللغة الحديث (تحليل الخطاب) متعلقة بالسيرة النبوية من خلال تطبيق تحليل الخطاب على نصوص من السيرة النبوية.

يتكون موضوع هذا البحث من ثلاث قضايا رئيسة هي: التعريف بالتطور الدلالي، والتعريف بالخطاب، وتطبيقهما معا على نصوص من السيرة النبوية.

وقد خرج هذا البحث بنتائج من أهمها أن معايير منهج تحليل الخطاب التي أوجدها علماء اللغويات المعاصرون في الغرب تنطبق على النصوص التي أخذناها من السيرة النبوية، وقد أحدث الإسلام -كذلك- تطوراً دلالياً كبيراً في لغة العرب من خلال تخصيص دلالة كثير من الكلمات العربية، وتوسيع بعضها.

وقد أوصى البحث بعدة توصيات من أهمها: دراسة السيرة في كل جوانبها وخاصة في الدراسات اللغوية.

(*) جامعة إفريقيا العالمية، معهد اللغة العربية، السُّودان.

Abstract

This study examines semantic development of speech text in the era of Prophet Mohammed .Speech texts of Prophet Mohammed and his companions as an example.The importance of this study exemplifies in examination of significant linguistic issue (speech texts analyses) through approach of recent linguistic theories.The study tackles three main issues:Definition of Speech text,it's development , and model of speech texts analyses of Prophet Mohammed and his companions.The study finally concluded to significant findings such as:Criteria of speech text analyses method that stated by modern linguists in the west,apply to act and style of speech text adopted by Prophet Mohammed and his companions.In addition, through utilization of semantic narrowing and extension,the Glorious Quran has influenced and developed Arabic language semantically. ventually,the study recommended the following suggestion:the sira (life) of Prophet Mohammed needs further studies in its all aspects particularly,linguistic aspect

مقدمة:

يعتبر هذا المؤتمر الدولي للسيرة النبوية الذي تنظمه جامعة إفريقيا العالمية سانحة طيبة لتداول سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو مناسبة عظيمة تتلاقح فيها الأفكار حول سيرة أضحت مسيرة قاصدة إلى الله تعالى.

إن المعهود في دراسة السيرة النبوية أن يتناولها المختصون في جوانب تتعلق بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ومجاهداته في نشر الدعوة الإسلامية إلى الناس.فلم تخرج دراستها إلى الجوانب المتعلقة بالحياة إلا في مثل هذه المؤتمرات التي تقدم بحوثاً تتناول كل جوانبها الفكرية والثقافية والاجتماعية واللغوية والاقتصادية وغيرها.

إننا في هذا البحث نحاول أن نتناول جانباً مهماً في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ ندرسها من الجانب اللغوي، ونقوم بتحليل ثلاثة نصوص تحليلاً لغوياً في ضوء أحدث نظرية لغوية وهي "تحليل الخطاب" وذلك بتطبيق معاييرها على النصوص آنفة الذكر، مع إيضاح التطور الدلالي الذي حدث فيها.

يتكون موضوع هذا البحث من أربعة مباحث: أولها: أساسيات البحث. وثانيها: التعريف بالتطور الدلالي. وثالثها: التعريف بالخطاب. ورابعها: التطبيق (تحليل الخطاب). والخاتمة التي تحتوي على النتائج والتوصيات.

موضوع البحث:

موضوع هذا البحث هو تطور دلالة الخطاب في العهد النبوي، والنظر إلى مثل هذه الدراسات اللغوية في السيرة النبوية أمر مهم، لأنه يثري الدراسات المتعلقة بها.ونعالج هذا الموضوع في ثلاث قضايا مهمة:

أولها: التطور الدلالي من حيث مفهومه وأنواعه وخصائصه وعوامله.

ثانيها: نتناول الخطاب من حيث مفهومه، وعلاقته بالنص وأنماطه، ومعايير تحليله.

وثالثها: تحليل ثلاثة نصوص من العهد النبوي في ضوء معايير تحليل الخطاب والتطور الدلالي.

قضية البحث:

شهدت الإنسانية تحولاً كبيراً في القرن السادس الميلادي وذلك ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كانت هذه التحولات شاملة في كافة نواحي الحياة الثقافية والفكرية والاجتماعية والسياسية...وغيرها، وقد أثرى الوحي الساحة آنذاك، وقد حدث هذا التحول كله عن طريق أداة مهمة وهي (الخطاب) ففي هذا البحث نود الوقوف على تطور دلالته في العهد النبوي.

أهداف البحث وأهميته:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على التطور الذي حدث لدلالة الخطاب في العهد النبوي، ويكتسب هذا البحث أهميته لتناوله موضوع يرتبط بالسيرة النبوية المطهرة، وينظر إلى أهمية هذا البحث في ثلاث نقاط:

أولها: إن دراسة السيرة يجب أن تكون شاملة لكل الجوانب، ومن هذه الجوانب الجانب اللغوي الذي لم يحظ بالبحث والدراسة إلا فيما ندر، وقد كان جانبا منه إعجاز النبي صلى الله عليه وسلم لغوياً. فمن باب أولى أن يجد هذا الأمر العناية والاهتمام.

ثانيها: إن التحول الكبير الذي حدث للإنسانية جمعاء بالرسالة الخالدة لعب الخطاب –موضوع بحثنا-لعب دورا فاعلا ومهما.

ثالثها: استخدام أحدث المناهج اللغوية في الدراسة (تحليل الخطاب) والتعرف على التطور الدلالي لخطاب غَيَّر الإنسانية جمعاء.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث اتخاذ كلا المنهجين الوصفي وتحليل الخطاب سبيلاً للدراسة.

فقد كان المنهج الوصفي ضرورياً لوصف التطور الدلالي والتعرف على الخطاب. أما تحليل الخطاب فهو ضروري للجانب التطبيقي في هذه الدراسة.

حدود البحث:

يقوم هذا البحث على منهج تحليل الخطاب في فترة زمنية محددة (العهد النبوي) والوقوف على تطور الدلالة فيه. واستخدمنا ثلاثة نصوص من العهد النبوي للدراسة التطبيقية.

التطور الدلالي:

إن أهم ظواهر اللغة ترجع إلى ناحيتين رئيستين وهما الظواهر المتعلقة بالصوت والظواهر المتعلقة بالدلالة، وإن كلتا الناحتين في تطور متطرد وتغير مستمر، وإنها في تطورها وتغيرها تتأثر بعوامل شتى وتخضع لطائفة كبيرة من القوانين[1].

ونقف في هذا المبحث على التطور الدلالي وذلك من خلال التعرض لمفهومه وأنواعه وخصائصه وعوامله.

مفهوم التطور الدلالي:

التطور مفهوم يتعلق بالتغيرات الطارئة. فهو عملية تكشف عن الاتجاهات والعوامل الخارجية والداخلية للظواهر، وتؤدي إلى ظهور الجديد، فالواقع لا تبقى ظواهره على حالة واحدة ثابتة، وإنما قدر هذه الظواهر أن تهب عليها رياح التبدل والتغيير.

إن التطور حصيلة تفاعل الظواهر وترابطها، وأثر بعضها في بعض، وللقديم والجديد أهمية بالغة في عملية التطور، فالصراع بينهما هو القوة الدافعة إلى التطور، فالجديد لم يبتدع غير مثال ولكنه يخرج من القديم، فهو متضمن في القديم، وقد أتى عليه التطور[2].

ينقسم التطور إلى قسمين:

[١] التطور التقدمي: هو الذي يعود إلى تعقد بنية الظاهرة المتطورة حيث تزداد فعاليتها وهي تؤدي وظائفها.

---

(1) علي عبد الواحد وافي، ١٩٩٧: ٣١٣.

(2) نور الهدى لوشن، ٢٠٠٠: ١٩٣ وما بعدها.

[٢] التطور الرجعي هو الذي يقود إلى تبسيط بنية الظاهرة[١].

أما الدلالة فهي المعنى المباشر الذي وضعت من أجله الكلمات ومن أجل توصيلة إلى الآخرين تكون الجمل والتراكيب[٢].

وخصائص الدلالة:

للمعنى خصائص كثيرة، تؤثر بمجملها في التفكير اللغوي، وتتأثر بعوامل نفسية واجتماعية وثقافية، وأهم هذه الخصائص ما يلي:

الطبيعة العقلية:

تطور العقل الإنساني تطوراً كبيراً، وتطورت معه اللغة، فانتقل الإنسان من مرحلة التعبير بالإشارة إلى مرحلة تمثيل الطبيعة بالأصوات، ثم مرحلة النظام اللغوي الذي يجعل الكلام مركباً من الأصوات فالكلمات فالجمل ليعبر بها عن المعاني. وهذه في ذاتها درجة من التجريد تتناسب والنمو العقلي المطرد. إذ إن إقامة الجملة تعتمد على تجريد علائقي بين طرفين، سماها المناطقة الموضوع والمحمول، وهما بعبارة النحاة: المسند والمسند إليه. فالعلاقة بينهما ذهنية منطقية خالصة[٣].

السعة والضيق:

الأصل أنه قد يكون للمعنى كلمة تعبر عنه، أو جملة تفصح عنه، أو تقربه إلى أذهان الناس، ويسمى القدر الذي يعبر عن هذا المعنى من الكلمات مجالاً، وتقوم العلاقة بين المجال في أوسع حدود قدره، ومثال ذلك أن كلمة (رجل) وهي كلمة واحدة، تتسع من جهة المعنى؛ لتشمل كل من يوصف بأنه رجل دون تعيين أو تخصيص أو تحديد أو استثناء. فإذا أوسعنا المجال بأن جعلناه من ثلاثة مورفيمات مثلاً كاسم الإشارة "هذا" و"ال التعريف" و"رجل" فقلنا: هذا الرجل، خرجت كلمة رُجل، من عمومها. إلى أن نكون دالة على المشار إليه فقط[٤].

---

(١) المرجع نفسه: ١٩٣.

(٢) سمير استبنية، ٢٠٠٥: ٢٨٢.

(٣) سمير استينية، ٢٠٠٥: ٢٦٨

(٤) المرجع نفسه: ٢٧٠ وما بعده.

توالد الوظائف الدلالية:

نتحدث هنا عن التوالد المتعدد الذي تنبثق عنه وظائف دلالية في الصرف والنحو والمعجم. إن التوالد يحدث على أنساق متعددة وأنساق متباينة، فهو يجري على نسق معين بين كلمتين ويجري على نسق مخالف بين أخريين. ولهذا، فإن العلاقة اللفظية التوالدية بين "كبر" و"تكبر" هي التي تأخذ حقها في الواقع، وتترك الدلالة لكل واحد منهما تسير على معنى لا تشارك فيه أختها، فعبارة "كبرت الشيء" تعني جعلته كبيراً، وعبارة "تكبر زيد" تدل على أنه قد تعالى على الناس. وليس بين المعنيين علاقة ترابطية تجعلها طرفين في دلالة واحدة.

ومثال آخر الفعل (سامح) مولد من نظيره المجرد (سمح) ويولد من أولهما الفعل "تسامح" والعلاقة بين الفعلين تتخذ منحاً دلالياً آخر، فقول: سامح زيد خصمه، إذا عفا عنه. ونقول: تسامح زيد مع خصومه. فأول الفعلين (سامح) متعد وثانيهما "تسامح" لازم، فالجملة الأولى تدل على أن زيد استجاب لطلب خصمه، والثانية تدل على تكرار الفعل عدة مرات[1].

والتطور الدلالي يكون أكثر وضوحاً وقوة في مجال المعجم والمعاني والألفاظ، والكلمات تتجرد دلالتها عن طريق الاستعمال المجازي، والاستعمال المجازي لا يتأثر بالبيئة اللغوية حسب بل يتأثر- كذلك- بما يجد فيها من مظاهر تشمل حياة الناس بالتغيير.

والمعروف أن انتقال المجموعة اللغوية من مرحلة تاريخية واجتماعية إلى أخرى يؤدي إلى وجود ألفاظ جديدة اقتضاها التطور الحضاري والاجتماعي والثقافي والتقني[2].

---

(1) المرجع نفسه: ٢٧٨ وما بعده.

(2) إبراهيم خليل، ٢٠١٠: ٢٤٦

أنواع التطور الدلالي:

[١] التطور المتسامي: ويتمثل في انتقال المعنى الوضيع إلى المعنى السامي، مثال لذلك كلمة العقل التي هي من العقال وهو الحبل الذي تربط به الدابة وأصبحت تعني لب الإنسان وعقله.

[٢] التطور الانحطاطي أو الخافض: يصدق على الكلمات التي كانت دلالتها تعد في نظر الجماعة نبيلة ورفيعة وقوية، ثم تحولت هذه الدلالات فصارت دون ذلك مرتبة، أو أصبح لها ارتباطات تزدريها الجماعة، مثل كلمة "جرثومة" كانت تعني "أصل" أي عندما أقول: جرثومة العرب أي أصل العرب. وبعد التطور أصبحت تعني الجرثومة المعروفة.

[٣] التطور نحو التخصيص؛ يخصص معناها العام فلا تطلق إلا بعض ما كانت تطلق عليه من قبل، مثل: كلمة الطهارة تخصصت وأصبحت تعني الختان في بعض البيئات.

[٤] التطور نحو التعميم: يعمم مدلولها الخاص فتطلق على معنى يشمل معناها الأصلي ومعاني أخرى تشترك معه في بعض الصفات، مثل: كلمة "مكتب" عممت فأصبحت تدل على مكتب الأستاذ ومكتب المحامي ومكتب الطبيب، ومكتب الوزير...إلخ.

[٥] التحول نحو المعاني المضادة: تستعمل في معنى غريب كل الغرابة عن معناها الأول، وذلك مثلما حدث في ألفاظ كانت تدل على معاني مثبتة، ثم أصبحت تدل على معاني منفية[١].

خواص التطور الدلالي:

[١] يسير ببطء وتدرج، فتغير مدلول الكلمة لا يتم بشكل فجائي سريع، بل يستغرق وقتاً طويلاً، ويحدث عادة في صورة تدريجية، فينتقل إلى معنى آخر قريب منه وهذا إلى ثالث متصل به.

([١]) نور الهدى لوشن، ٢٠٠٠: ٢٠٦، وقارن: علي عبد الواحد وافي، ١٩٩٧: ٣١٣ وما بعدها.

[٢] يمتاز بالتلقائية والآلية: إن إرادة الإنسان لا تتدخل في هذا التطور، فسقوط علامات الإعراب – مثلاً- في اللهجات العربية الحاضرة وتغير أوزان الأفعال و... كل ذلك وما إليه قد حدث من تلقاء نفسه في صورة آلية لا دخل فيها للتواضع أو إرادة المتكلمين.

[٣] جبري الظواهر؛ لأنه يخضع في سيرة لقوانين صارمة لا يد لأحد على وقفها، أو تعويقها، أو تغيير ما تؤدي إليه. مثال لذلك حال اللغة العربية، فعلى الرغم من الجهود الجبارة التي بذلت في سبيل صيانتها ومحاربة ما يطرأ عليها من لحن وتحريف. فإن ذلك كله لم يحل دون تطورها فأصبحت على الحالة التي هي عليها الآن في اللهجات العامية.

[٤] إن التطور الدلالي في غالب أحواله مقيد بالزمان والمكان فمعظم ظواهره يقتصر أثرها على بيئة معينة وعصر خاص. ولا تكاد تعثر على تطور دلالي لحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحدة ووقت واحد.

[٥] إن الحالة التي تنتقل إليها الدلالة ترتبط غالباً بالحالة التي انتقلت منها بإحدى العلاقتين اللتين يعتمد عليها تداعي المعاني وتعني بهما علاقتي المجاورة والمشابهة. فتارة يعتمد انتقال الدلالة على علاقة المجاورة المكانية، كتحول معنى "ظعينة" (معناها في الأصل المرأة في الهودج) إلى معنى الهودج نفسه وإلى معنى البعير، وتارة يعتمد على علاقة المجاورة الزمانية كتحول معنى "العقيقة" (هي في الأصل الشعر الذي يخرج على الولد من بطن أمه) إلى معنى الذبيحة التي تنحر عند حلق الشعر، وتارة يعتمد على علاقة المشابهة كتحول معنى "الأفن" (وهو في الأصل قلة لبن الناقة) إلى معنى قلة العقل والسعة.

[٦] إنه إذا حدث في بيئة ما ظهر أثره عند جميع الأفراد الذين تشملهم هذه البيئة[1].

([1]) انظر: علي عبد الواحد وافي، ١٩٩٧: ٣١٤ وما بعدها، وقارن: نور الهدى لوشن، ٢٠٠٠: ٢٠٧

عوامل التطور الدلالي:

[١] عوامل تتعلق باستخدام الكلمات، فمدلول الكلمة يتغير تبعاً للحالات التي يكثر فيها استخدامها. فمن ذلك جميع المفردات التي كانت عامة المدلول ثم شاع استعمالها في الإسلام في معان خاصة تتعلق بالعقائد أو الشعائر أو النظم الدينية، كالصلاة، والحج، والصوم، والمؤمن والكافر والمنافق، والركوع، والسجود... فالصلاة معناها في الأصل الدعاء، ثم شاع استعمالها في الإسلام في العبادة المعروفة لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدعاء.

[٢] عوامل تتعلق بمبلغ وضوح الكلمة في الذهن، فكلما كان مدلول الكلمة واضحاً في الأذهان قل تعرضه للتغيير، ولكل ما كان مبهماً غامضاً مرناً كثر تقلبه وضعفت مقاومته لعوامل الانحراف. ويساعد على وضوح مدلول الكلمة من أهمها أن تكون مرتبطة بفصيلة من الكلمات معروفة الأصل. ويعمل على إبهامها عوامل كثيرة من أهمها ألا تكون لها أسرة معروفة الأصل متداولة الاستعمال.

[٣] عوامل تتعلق بأصوات الكلمة. إذا كانت أصوات الكلمات واضحة فهي تمتاز بالثبوت، أما إذا كانت غير واضحة أو شابهت غيرها فقد يحدث إبدال بينها وهكذا تتغير الدلالة. ففي كلمة الثورة – مثلاً- قد يساء فهمها ويأخذ السامع على أنها الثروة، ثم لا تتاح للسامع فرصة أخرى لتصحيح خطئه ويبقى اللفظ في ذهنه مرتبط بالدلالة الجديدة.

[٤] عوامل تتعلق بالقواعد: فقد تذلل قواعد اللغة نفسها السبيل إلى تغير مدلول الكلمة، وتساعد على توجيهه وجه خاصة. فتذكير كلمة "ولد" -مثلا- في العربية (ولد صغير) قد جعل معناها يرتبط في الذهن بالمذكر، ولذلك أخذ مدلولها يدنو شيئاً فشيئاً من هذا النوع حتى أصبحت لا تطلق في كثير من اللهجات العامية إلا على الولد من الذكور.

[٥] يمثل انتقال اللغة من السلف إلى الخلف عاملاً من عوامل التطور الدلالي، وذلك أن الجيل اللاحق لا يفهم جميع الكلمات على الوجه الذي يفهمها عليه الجيل السابق. ويساعد على هذا الاختلاف كثرة استخدام المفردات في غير ما وضعت

له على طريق التوسع أو المجاز. مثال لذلك كلمات: القطار، البريد، والسيارة، فالقطار كان يطلق على مجموعة الإبل، والبريد على الدابة التي تحمل الأخبار، والسيارة على المجموعة السائرة.

[٦] انتقال الكلمة من لغة إلى لغة أخرى. فقد يخصص مدلولها العام وتقصر على ما بعض ما كانت عليه. وقد يفهم مدلولها الخاص، وقد تستعمل في غير ما وضعت له لعلاقة ما بين المعنيين. وقد تنحط إلى درجة وتصير صعبة الاستعمال فتصبح في فحش الكلام وهجره. وقد تسمو إلى منزلة راقية فتعتبر من نبل القول ومصطفاه.

[٧] وقد يكون العامل في تغير معنى الكلمة أن الشيء نفسه الذي تدل عليه قد تغيرت طبيعته أو عناصره أو وظائفه أو الشئون الاجتماعية المتصلة به... وما إلى ذلك. فكلمة "الريشة" -مثلاً- كانت تطلق على ألة الكتابة أيام أن كانت تتخذ من ريش الطيور، ولكن تغير الآن مدلولها الأصلي على قطعة المعدن مشكلة في صورة خاصة.

[٨] عوامل تتعلق باختلاف الطبقات والجماعات. فكثيراً ما ينجم عن اختلاف الناس في طبقاتهم واختلافاتهم وفئاتهم اختلاف مدلول الكلمات وخروجها من معاينها الأولى. ويؤدي إلى ذلك ما يوجد بين الجماعات الناطقة باللغة الواحدة من فروق في الخواص الشعبية والجسمية والنفسية وفي شئون السياسة والاجتماع والثقافة والتربية ومناحي التفكير والوجدان ومستوى المعيشة وحياة الأسرة والتقاليد والعادات[١].

الخطاب:

ظل البحث اللغوي مقصوراً على دراسة الجملة وتركيبها الصوتي والصرفي والدلالي إلى منتصف السبعينات من القرن العشرين، ويعزي ذلك لأسباب أهمها غياب النظرية اللغوية التي تتجاوز البحث في إطار الجملة وتضع أسساً للتعامل مع

(١) انظر: علي عبد الواحد وافي، ١٩٩٧، ٣١٩ وما بعدها، وقارن، نور الهدى لوشن، ٢٠٠٠: ٤٠٤ وما بعدها.

النصوص المكتوبة أو المحكية، هذا علاوة على أن البحث في مكونات الجملة على المستويات المختلفة، التي يمكن تحليلها وتجديد أمرها أيسر من دراسة وتحليل العلاقات بين الجمل أو التفوهات التي تستخدم في عملية التواصل[1].

وقد تجاوز الدرس اللغوي الجملة إلى النص أو الخطاب في الدراسات اللغوية لعدة مسوغات:

[١] إن الكفاية اللغوية للناطقين بلغة ما لا تقصر على إصدار أحكام على الجمل من حيث كونها منسجمة وقواعد النحو والصرف أم غير منسجمة فحسب، بل تشمل هذه الكفاية أيضاً على قدرة أصحاب اللغة على تقييم نص قد يتكون من جملة واحدة أو فقرة أو صفحة أو أكثر من ذلك. بإن يستطيع القارئ لنص ما أو المستمع لحديث ما أن يقول بأن هذا النص يشكل وحدة مترابطة من حيث اللغة والموضوع أو أنه مجرد جمل غير مترابطة تفتقر إلى التماسك اللغوي والموضوعي.

[٢] هناك بعض الظواهر اللغوية التي لا يمكن دراستها إلا بدراسة العلاقة بين الجمل التي تشكل النص مثال ظاهرة الإحالة Reference وظاهرة الوحدة الموضوعية للنص coherence والتماسك اللغوي للنص cohesion والعلاقات المنطقية بين الجمل مثل الاقتضاء presupposition والاسلتزام entailment وغيرها.

[٣] إن عملية التواصل اللغوي لا تتم عادة باستعمال مفردات أو جمل منفصلة بل بالربط بين جمل أو تفوهات أو أشباه جمل متعددة، وهذا واضح في سلوكنا اللفظي فنحن نقرأ خبراً في صحيفة أو نشاهد مسرحية أو نقرأ قصة قصيرة أو فصلاً في رواية كبيرة أو نقرأ سورة من القرآن الكريم قصيرة كانت أم طويلة. وجميع هذه التجليات اللغوية تتكون في الغالب من جمل عديدة مرتبطة مع بعضها بعضاً بشكل متماسك ومترابط يؤدي لايصال رسالة معينة[2].

([1]) انظر: شحدة فارع وآخرون،٢٠٠٠: ١٩٧.

([2]) انظر: المرجع نفسه:١٩٨ومابعدها.

ونتناول هذا الموضوع (الخطاب) في قضايا عدة نبدأها بالتعريف اللغوي فالتعريف الاصطلاحي، ومن ثم تحديد العلاقة بين الخطاب والنص، وتحديد أنماطه، ومعاييره.

مفهوم الخطاب: الخطاب في اللغة:

الخطاب لغة على وزن فعال من خاطب، ومصدره خطاب ومخاطبة على وزن مفاعلة ومعناه الكلام والمحادثة، ومراجعة الكلام والمشاورة فيه، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان[1]. ويعضد من المعنى عصام أحمد البشير[2] بقوله: "جاء في لسان العرب، الخطاب والمخاطبة ومراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان. وفصل الخطاب: أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده".

وردت كلمة خطاب، في القرآن الكريم ثلاث مرات[3] وهي قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾[4].وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾[6].

وما يتناسب مع ما نتحدث عنه هي الآية الأخيرة (وشددنا ملكه...) ونلاحظ في سياق ورود لفظ خطاب، فيها، أن الخطاب مقرون بالحكمة. وهنا مجال فسيح للتأمل والاستبصار والتدقيق في اكتناه المعنى العميق للفظ خطاب، مما يخرج به عن المفهوم اللغوي بحسبانه مراجعة الكلام، أو الكلام الذي يقصد به الإفهام، ويرتقي به

---

(1) بشير عبد الله المساري، ٢٠١١: ٢٣

(2) عصام أحمد البشير، ٢٠١٠: ٩

(3) انظر: عصام أحمد البشير، ٢٠١٠: ١٠، وقارن، هاشم ميرغني، ٢٥:٢٠٠٨

(4) سورة النبأ الآية ٣٧

(5) سورة ص الآية ٢٣

(6) سورة ص الآية ٢٠

إلى مستوى أرفع شديد اللصوق بمعنى الحكمة التي هي وضع الأمور في حاق موضعها وتدبيرها على ما ينبغي لها[1].

أما في الاصطلاح فقد وردت عدة تعريفيات للخطاب وهي متناثرة فيما تدل عليه، والسبب في ذلك منطلقات أصحابها، فكل يعرف الخطاب من الخلفية التي ينتمي إليها، فالداعية يعرفه من وجه نظر دعوية، والأديب من وجه نظره النقدية، واللغوي من الزاوية النصية.

عرف هاشم ميرغني[2] الخطاب بقوله: "اصطلاحاً اتسعت المفردة "خطاب"، وقفزت من دلالتها البسيطة تلك التي تدل على الكلام أو المخاطبة لتدخل شبكة معقدة من الدلالات نسجها النقد الأدبي الحديث بمختلف تياراته اللغوية والبنائية وغيرها". وعرفه -أيضاً- عصام أحمد البشير[3] بقوله: "والخطاب كما قيل: 'هو الكلام الذي يقصد به الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنه لا يسمى خطاباً". وفي موضع آخر عرف عصام أحمد البشير[4] الخطاب بقوله: "الخطاب اصطلاح فلسفي يقارب في الدلالة (المقولة الفلسفية). فالخطاب الفلسفي لفلان. هو منهاجه في التفكير والتصور وفي التعبير عن أفكاره وتصوراته، وهذا الخطاب يتعارض أو يتوافق مع الخطاب الفلسفي لفلان" وفي موضع ثالث يعرف عصام أحمد البشير[5] الخطاب الإسلامي بقوله: "الخطاب الذي يستند لمرجعية إسلامية من أصول القرآن والسنة، وأيٍّ من سائر الفروع الإسلامية الأخرى سواء أكان منتج الخطاب جماعة إسلامية، أم مؤسسة دعوية رسمية أو أهلية، أم أفراداً متفرقين، جمعهم الاستناد للدين وأصوله، مرجعية لرؤاهم وأطروحاتهم، ولإدارة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يحيونها، أو دوائر الحركة الوظيفية التي يرتبطون بها ويتعاطون معها" وعرف

---

(1) عصام أحمد البشير، ٢٠١٠: ١٠

(2) هاشم ميرغني، ٢٠٠٨: ٢٨

(3) عصام أحمد البشر، ٢٠١٠: ٩

(4) المرجع نفسه: ١٠

(5) المرجع نفسه: ١١

أحمد المتوكل[1] الخطاب بقوله: "يعد خطاباً كل ملفوظ/ مكتوب يشكل وحدة تواصيلية قائمة الذات" وعرفه – كذلك- بشير عبد الله المساري[2] بقوله: "الخطاب رسالة ذات هدف ودلالة، وهو كلام، منطوقاً أو مكتوباً، يمثل وجهة نظر محددة من الجهة التي توجه الخطاب. ويفترض فيه التأثير في السامع أو القارئ مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف والملابسات التي صيغ فيها الخطاب بدلالة الزمان والمكان".

أما شحدة فارع وآخرون[3] فقد عرفوا الخطاب بقولهم:"تحليل الخطاب هو أحد مستويات الدرس اللغوي الذي يحاول تحليل الظاهرة اللغوية على مستوى يتجاوز مستوى الجملة أو التفوه يشتمل على البعض المكتوب مهما بلغ طوله واختلفت أنواعه، وعلى التخاطب الشفوي بين الناس بأشكاله المختلفة كالمكالمة الهاتفية ..." التعريفات التي سبقت يمكن إجمالها في قسمين، قسم جعل الخطاب يعبر عن الجانب الشفاهي في اللغة وتمثله تعريفات هاشم ميرغني وعصام أحمد البشير، فقد جعل هاشم ميرغني الخطاب نسيج معقد من الدلالات يوجهها الأدب الحديث بتياراته المختلفة، ولعله يريد أن يعبر عن الخطاب النقدي الذي يتحدث عن قضية نقدية بعينها وينظر إليها بوجهه محددة.

أما عصام أحمد البشير فقد جعل هدف الخطاب في تعريفه الأول الإفهام، وجعله في تعريفيه الثاني المنهاج في التفكير والتصور والتعبير، وفي تعريفيه الثالث اعتمد جهة الخطاب بعد تحديده للتعريف بالخطاب الإسلامي.

يلاحظ في التعريفات التي تناولتها بالمناقشة أنها لم تشر إلى الخطاب المكتوب، بل جعلت الخطاب نوعاً واحداً وأهملت النوع الآخر، ولعل خلفية أصحاب هذه التعريفات هي التي كان لها الأثر في ذلك حيث الأول ينتمي إلى فصيلة الأدباء والثاني من الدعاة.

أما القسم الثاني فقد جعل الخطاب يتناول جانبي الإنتاج اللغوي الشفاهي والكتابي، وركز أحمد المتوكل في تعريفيه على ثلاث قضايا أولها ضمن الجانبين

---

(1) أحمد المتوكل، ٢٠١٠: ٢٤

(2) بشير عبد الله المساري، ٢٠١١: ٢٣

(3) شحدة فارع وآخرون: ٢٠٠٢: ١٩٩

الشفاهي والكتابي، وثانيها اعتماد معيار التواصلية في الخطاب، وثالثها لابد أن يتمثل الخطاب نصاً كاملاً. وزاد على ذلك بشير المساري حيث أشمل وأكمل في تعريفيه القضايا التي ينبغي أن تتوافر وهي: الهدف- الدلالة- منطوقاً أو مكتوباً – يمثل وجهة نظر محددة- التأثير في السامع أو القارئ- الظروف والملابسات التي صيغ فيها الخطاب- دلالة الزمان والمكان، وفي تقديرنا هذا هو التعريف الأشمل من بين التعريفات التي تناولناها.

أما التعريف الأخير فقد تناول الجانب التطبيقي في لغويات النص حيث جعل تحليل الخطاب مستوى من مستويات دراسة اللغة المعروفة (المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى النحوي والمستوى الدلالي)، وحدد له وجهته وهو تحليل أعلى من مستوى الجملة وهو النص، وهذا يشير إلى أن الدراسات اللغوية الحديثة في نظرياتها الأولى "البنوية الوصفية" أو "التحويلية" لم تتجاوز بنية الجملة لذلك ظهرت الحاجة إلى مستوى آخر في علم اللغة ليدرس النص وهو "تحليل الخطاب" موضع دراستنا في هذا البحث.

الخطاب والنص:

هل الخطاب هو النص؟ سؤال أجابت عنه الدراسات اللغوية، وقد اختلف علماؤها حول الإجابة عن هذا السؤال إلى مجموعتين. مجموعة ترى أن بينهم اختلافاً خفيفاً من بينهم محمد الأخضر الصبيحي[1] حيث يقول: "يكاد يجمع أغلب اللغويين على أن النص يمثل المظهر الشكلي المجرد للخطاب، بينما يعني هذا الأخير الممارسة الفعلية الاجتماعية للنص" وفي موضع آخر يعضد الصبيحي[2] من هذا الرأي بقوله: "وبعضهم يفرق بين بعض هو كائن فيزيائي منجز، وخطاب هو موطن التفاعل والوجه المتحرك فيه، ويتمثل في التعبير والتأويل"، ويحاول الصبيحي[3] أن يوضح رأيه أكثر بقوله: "وقد يتضح الفرق أكثر بإجراء موازنة مختصرة بين كل من علم النص وتحليل الخطاب، وفعلاً يعرف الأول بأنه الدراسة

(1) محمد الأخضر الصبيحي، ٢٠٠٨: ٧٣

(2) المرجع نفسه: ٧٣

(3) المرجع نفسه: ٧٣

اللغوية التي تهدف إلى الكشف عن مجموع القواعد التي تنظم بناء مختلف النصوص وعن المعايير التي تميز النص عن اللانص. كما يعرف أيضاً بأنه العلم الذي يصف النظام الداخلي للنص وطريقة بنائه ووظيفة كل جزء فيه. بينما يعرف تحليل الخطاب بأنه دراسة النص في علاقته مع ظروف إنتاجه".

والمجموعة الأخرى ترى أن النص والخطاب شيء واحد ومن هذه المجموعة شحدة فارع وآخرون[1] بقولهم: "سنستخدم في هذا الفصل تعبير تحليل الخطاب ليدل على تحليل النصوص المكتوبة والمحكية على حد سواء". وقد أشار محمد الأخضر الصبيحي إلى آراء علماء كبار في هذا المجال لم يفرقوا بين علم النص وتحليل الخطاب حيث قال[2]: "غير أن من المفارقات التي قد تفاجئ البعض، هي أن أكبر علماء هذين التخصصين (علم النص وتحليل الخطاب) لا يفرقون، إلا فيما ندر، بين هذين المصطلحين. كما يلحون، في مختلف أبحاثهم، على ضرورة أن تشمل الدراسة الجانبيين معاً" وفي إشارة إلى رأي "فان دايك" في هذا الأمر، يقول الأخضر الصبيحي[3] "إن هذين النوعين من الدراسة حسب "فان دايك"[4]، يندرجان ضمن مجال واحد، وهو علم النص".

ولعلنا نتفق مع المجموعة الثانية فيما ذهبت إليه وذلك لأن علم اللغة الحديث في أحدث نظرياته علم النص، قد جعل الخطاب والنص شيئاً واحداً، فالخطاب لابد أن يكون نصاً يحمل فكرة كاملة فالنص خطاب والخطاب نص ويؤكد استنتاجنا هذا محمد الأخضر الصبيحي[5] بقوله: "بعد هذا العرض المختصر الذي اقتصرنا فيه على مواقف أبرز علماء النص، ومحللي الخطاب، فإن استنتاجاً معيناً يكاد يفرض نفسه، وهو حتى وأن سلمنا بوجود فرق بين النص والخطاب. فإن هذا الفرق لا يلبث أن يتلاشى على مستوى التحليل والدراسة، ولا أدل على من أن كلاً من علماء النص

---

(1) شحدة فارع وآخرون، ٢٠٠٠: ١٩٩

(2) محمد الأخضر الصبيحي، ٢٠٠٨: ٧٤

(3) المرجع نفسه: ٧٤

(4) صاحب كتاب علم النص متداخل الاختصاصات الذي ترجمه سعيد حسن بحيري.

(5) محمد الأخضر الصبيحي، ٢٠٠٨: ٧٦

وأصحاب تحليل الخطاب يجمعون على أن دراسة النص وتحليله يجب أن تشمل البنية النصية وسياقها معاً" وفي ثنايا هذا البحث سنتعامل مع الخطاب والنص على أنهما شيء واحد.

أنماط الخطاب:

صنف أحمد المتوكل[1] الخطاب منطلقاً من أحد المعايير التالية:

الموضوع، والبنية، والآلية إلى:

[١] تصنيف الخطابات من حيث موضوعها إلى: خطاب ديني. وخطاب علمي. وخطاب أيديولوجي أو سياسي.

[٢] وتصنف الخطابات من حيث بنيتها داخل ما يسمى الخطاب الفني (الإبداعي، الأدبي) إلى: قصة، ورواية، وقصيدة شعر، وغيرها.

[٣] أما من حيث الآلية المشغلة للخطاب فيميز بين: الخطاب السردي، والخطاب الوصفي، والخطاب الحجاجي.

وتناول أنماط الخطاب بشير عبد الله المساري[2] بعمومية دون توصيف أو تصنيف دقيق فقال: "ويستعمل لفظ الخطاب اصطلاحاً بمعان شتى تختلف تبعاً لطبيعة الموضوع الذي ينصب عليه الخطاب، وتبعاً للأغراض التي يتوخى تحقيقها منه، ففي التشريع والقضاء تعني "بلاغة الخطاب" أن يؤسس على البرهان الاستدلالي، على النحو الذي يحدده المنطق، وفلسفة التشريع، والأيديولوجية المتبناة من صياغة التشريعات، وفي أحكام القضاء. ومعنى هذا أن الخطاب، يتجاوز الشكلية اللغوية، ويمتد إلى وسائل الإقناع ونوعية البرهان وأدوات الأسلوب والبيان".

أما عبد الله الزبير[3] فقد صنف الخطاب إلى اعتبارين هما المضمون والمقصود: وقسم الخطاب باعتبار المضمون إلى ثلاثة أقسام:

- الخطاب السلطاني.
- الخطاب الإيماني.

---

(1) أحمد المتوكل، ٢٠١٠: ٢٥

(2) بشير عبد الله المساري، ٢٠١١: ٢٣ وما بعدها.

(3) عبد الله الزبير عبد الرحمن، ٢٠١٠: ٢٠٢

- الخطاب الإنساني.

وقسم – أيضاً- الخطاب باعتبار المقصود إلى قسمين:

- الخطاب العام.
- الخطاب الخاص.

وقسم الخطاب الخاص إلى:

- خطاب القدوة.
- خطاب المجادلة.
- خطاب المجاهدة.

وبالنظر إلى التصنيفات الثلاثة فإنها التقت في الموضوع وقد اتفق في التسمية أحمد المتوكل وبشير المساري وسماه عبد الله الزبير المضمون، ويلاحظ – أيضاً- الاتفاق في أقسام الموضوع مع الاختلاف في المصطلح بين أحمد المتوكل وعبد الله الزبير.

أحمد المتوكل	عبد الله الزبير
خطاب ديني	الخطاب الإيماني
خطاب علمي	الخطاب الإنساني
خطاب سياسي	الخطاب السلطاني

وفي المقابل أعطى بشير عبد الله المساري هذا التصنيف شيئاً من العمومية، بعبارتين تشيران إليه.

والاختلاف واضح وبيّن في التقسيمين الآخرين الذي جاء بها أحمد المتوكل على أساس البنية والآلية، وقد أشار إليهما بشير عبد الله المساري إشارة عامة (... ومعنى هذا أن "الخطاب" يتجاوز الشكلية اللغوية، ويمتد إلى وسائل الإقناع ونوعية البرهان وأدوات الإسلوب البياني)، بينما سلك عبد الله الزبير مسلكاً آخر في التقسيم إلى خطاب عام وخطاب خاص باعتبار الفئة المستهدفة بالخطاب.

ونميل إلى تصنيف أحمد المتوكل لشموله على الموضوع والآلية والبنية، ولتكامل هذه الأقسام مع بعضها البعض.

أركان الخطاب اللغوي:

وقد حددت نور الهدى لوشن[1] للخطاب اللغوي ستة أركان هي:

[١] الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية: ومحورها المرسل فهي تعبير عن موقفه من موضوع الحديث، وعن العواطف التي يولدها فيه هذا الموضوع. فالتعجب، والتأوه، والسخرية، والغضب، كل ذلك يدخل ضمن الوظيفة الإنفعالية.

[٢] الوظيفة الإفهامية: ومحورها المرسل إليه، فالنداء والأمر والنهي، مما تقوم به هذه الوظيفة.

[٣] الوظيفة المرجعية:وهي متصلة بالسياق وهي الوظيفة المؤدية للإخبار باعتبار أن اللغة فيها تحيلنا على أشياء وموجودات نتحدث عنها، وتقوم اللغة بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلغة.

[٤] الوظيفة الانتباهية: وهي مرتبط بأداة الاتصال، هدفها إقامة هذا الاتصال بين الباث والمتلقي، وتظهر هذه الوظيفة قبل غيرها من الوظائف عند الطفل، فهو كثير التواصل مع غيره أو التعبير عن غرض من الأغراض. تهيمن الوظيفة الانتباهية في المناسبات الاجتماعية المختلفة كمناسبات اللقاء والحفلات والجلوس معاً في مكان واحد. فكثيراً ما يلجأ المتكلمون إلى استعمال عبارات معينة لا يقصد بها معانيها الحرفية، بل يقصدها الأدب والتلطف وإقامة العلاقات الاجتماعية أو تأكيدها.

[٥] وظيفة ما وراء اللغة – وقد تسمى وظيفة تعدي اللغة- أو اللغة الواصفة: ومحورها السنة اللغوية فهي الحديث عن اللغة بواسطة اللغة. واللغة خلافاً لأجهزة الاتصال هي وحدها التي يتسنى لها أن تتكلم عن نفسها.

[٦] الوظيفة الشعرية أو الإنشائية: ومحورها الرسالة نفسها، فما يميز الفن عن غيره من النظم السيميائية الأخرى هو أن الغاية التي يجري إليها الفن ليست هي مدلول العلامة اللغوية بقدر ما هي العلامة اللغوية نفسها. فالعلامة مهيمنة في

([1]) نور الهدى لوشن، ٢٠٠٠: ٣٥٤ وما بعدها.

عالم الفن. وهَمّ الفنان أن يصوغ فنه بشكل لا يعبر إلا عن هذا الفن. وبطريقة تركز على كيفية القول أكثر من تركيزها على موضوع القول.

معايير تحليل الخطاب:

يقوم تحليل الخطاب على خمسة معايير تشمل التماسك اللغوي، والوحدة الموضوعية، والفعل الكلامي، ومبدأ التعاون في الحديث، ومبدأ الأدب في الحديث.

التماسك اللغوي[1] Cohesion:

تتعدى الكفاية اللغوية للناطق بلغة ما على تمييز ما هو مقبول أو غير مقبول من الكلمات أو الجمل إلى مستوى أعلى تشمل على قدرته على تمييز ما هو مقبول أو غير مقبول من النصوص المكتوبة أو المحكية. وهذا يعني أن هناك مواصفات ومعايير لبناء النص ينبغي مراعاتها أو توافرها في النص كي نعتبره مقبولاً وإلا كان النص غير مقبول. ومن أهم هذه المعايير التماسك اللغوي الذي يعني ترابط الجمل في النص مع بعضها بعضاً بوسائل لغوية معينة نوجزها فيما يلي:

{أ} الإحالة Reference: استخدام الضمير ليعود على سابق أو لاحق له بدلاً من تكرار الاسم نفسه[2].

{ب} الربط Conjoining: استخدام أدوات الربط – كحروف العطف – لإيجاد علاقات بين الجمل في النص[3].

{ج} الإبدال Substitution: استخدام كلمة بدلاً من كلمة أو عبارة سابقة وذلك لتجنب إعادتها.

{د} الحذف Ellipsis: حذف جزء من الكلام يمكن فهمه وتقديره من السياق دون أن يسبب خللاً نحوياً أو دلالياً في الجملة أو النص[4].

---

(1) شحدة فارع وآخرون، ٢٠٠٠: ٢٠١

(2) المرجع نفسه: ٢٠١

(3) المرجع نفسه: ٢٠٢

(4) المرجع نفسه: ٢٠٣

{هـ} الترادف أو التكرار: Synonymy and nepertion: استخدام المفردات لإيجاد علاقة بين الجمل والترادف استخدام كلمة أو عبارة مرادفة لعبارة أخرى سابقة لها تجنب إعادة الأولى؛ لأن الإعادة سمة قد تكون غير مرغوبة في الكتابة[1].

{و} التراكيب المتوازية Parallelism: يقصد به تكرار وحدات لغوية من الفئة النحوية نفسها (شبه الجملة مثلا) أكثر من مرة في جملة واحدة، مثال لذلك لقد خدم ذلك العالم البشرية باختراعاته واكتشافاته وكتاباته وبحوثه في مجال الكهرباء. وقد تتمثل التراكيب المتوازية في جمل متتابعة في النص، ولكن ليس بالضرورة في الفقرة نفسها بحيث يكون لهذه التراكيب الشكل ذاته ولكن باختلاف المحتوى في كل جملة، مثال:

- إن الصبر من الإيمان.
- إن الصبر مفتاح الفرج.
- إن الصبر جميل.

تتكون كل جملة من هذه الجمل من حرف النصب إن واسمها وخبرها ولكن المعنى يختلف في كل جملة عنه في الجمل الأخرى[2].

الوحدة الموضوعية:

يتصف النص الجيد بأنه يتحدث عن موضوع واحد، فنجد أن كل جملة فيه تضيف لبنة جديدة إلى الفكرة الرئيسة في النص[3].

إن وحدة الموضوع في النص لا تتحقق إلا إذا كان لكل جملة من جمل النص دور في تطوير الفكرة الرئيسة لهذا النص وهذا يعني أن كل جملة تشكل لبنة أساسية في البناء الواحد[4].

---

(1) المرجع نفسه: ٢٠٤

(2) شحدة فارع وآخرون، ٢٠٠٠: ٢٠٥

(3) شحدة فارع وآخرون، ٢٠٠٠: ٢٠٥

(4) المرجع نفسه: ٢٠٦

الفعل الكلامي:

الأفعال الكلامية هي التي تتحقق فور تلفظ المتكلم بالفعل المناسب لكل منها. أي أنها تتحقق بنطق فعلها وبمجرد قولها، وهي كثيرة كالتهديد، والمدح، والإطراء، والدعوة، والنفي أو الرفض والقبول والتذمر أو الشكوى، والتحية والاستئذان والتسمية (تسمية الأشياء) والتعزية والتحدي والاتهام والاعتراف وغيرها[1]. وللفعل الكلامي ثلاثة جوانب:

{أ} الفعل الصوتي Lectionary: وهو الفعل الفيزيولوجي للتفوه أي مجموع الأصوات والكلمات التي نسمعها عندما تقول شيئاً له معنى معيناً.

{ب} أثر الفعل الصوتي على السامع Perlocutionargact: ويعني ذلك أثر القول أو التفوه على السامع. فقد يستجيب السامع لفظياً أو حركياً وقد لا يأبه لما سمع فلا يفعل شيئاً ولا يستطيع المتكلم التحكم في كيفية استجابة السامع[2].

{ج} الفعل المقصود من التفوه أو القول Illocutionaryact: ويقصد بذلك القيمة الاجتماعية للقول أو التفوه. أي كيف يفهم الآخرون القول أو التفوه. إن المقصود من الكلام قد يكون مباشراً أو غير مباشر.

يكون المقصود مباشراً عند ما نستخدم الكلمة أو الفعل الصريح الذي يدل على هذا الفعل كأن تقول: أشكر، لتحقيق فعل الشكر، وآسف للاعتذار، ومبارك نجاحك للتهنئة وهكذا، والمعنى المباشر هو الذي يتضمنه المعنى الحرفي للعبارة. أما الفعل أو المعنى غير المباشر فهو ما يفهم من العبارة أو القول غير المعنى الحرفي[3].

مبدأ التعاون في الحديث Co-operative principle

يمكن تلخيص هذا المبدأ في العبارة: أجعل مساهمتك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه الحوار الذي تشترك فيه وفي اللحظة المناسبة[4].

قسم هذا المبدأ إلى أربعة أقسام:

---

(1) المرجع نفسه: ٢٠٨

(2) المرجع نفسه: ٢٠٨

(3) شحدة فارع وآخرون، ٢٠٠٠: ٢٠٩

(4) المرجع نفسه: ٢٠١٠

{أ} مبدأ النوعية The maxim of quality :ويعني هذا المبدأ أن يجعل المتكلم مساهمته في الحوار صحيحة أو صادقة بما يلي:

- لا تقل ما تعتقد بأنه غير صحيح.
- لا تقل شيئاً لا تستطيع إثباته أو تقديم أدلة على صحته.

يعني هذا المبدأ أن المتكلم لا يستطيع التحدث عن شيء غير متأكد من صحته ولكنه يستطيع أن يقل أي رسالة يشاء بأي درجة من الصدق أو الصحة شريطة أن يستعمل المفردة الدقيقية والتركيب اللغوي الذي يدل على ما يريد أن يعبر عنه[١].

{ب} مبدأ الكمية The maxim of quantity:أجعل مساهمتك في الحديث أو الحوار مفيدة من حيث المعلومات التي يقدمها بالدرجة المطلوبة التي تناسب هدف الحوار[٢].

{ج} مناسبة الحديث للموضوع العام للحوار:يعني هذا المبدأ أن يجعل المتحدث كلامه مناسباً لموضوع الحوار[٣].

{د} الوضوح The maxim of manner :كيفية نقل الرسالة الشفويةوينبغي:

- تجنب الغموض أو عدم الوضوح في الحديث
- تجنب اللبس (احتمال أكثر من معنى لما تقول)
- أو جز في حديثك
- كنا منظماً في نقل رسالتك[٤].

مراعاة هذه المبادئ والقواعد أمر ضروري للتواصل الفاعل الناجح البعيد عن الغموض واللبس وكثيراً ما تؤدي مخالفة هذه المبادئ أو أحدها إلى حدوث سوء فهم بين المتخاطب قد ينعكس سلبياً على العلاقات الاجتماعية بين هؤلاء الأشخاص.

---

(١) المرجع نفسه: ٢١١

(٢) المرجع نفسه: ٢١١

(٣) المرجع نفسه: ٢١١

(٤) شحدة فارع وآخرون، ٢٠٠٠: ٢١٢

إن مراعاة هذه المبادئ لا يكون في الحديث الشفوي فحسب بل لابد من الانتباه إليها في الكتابة أيضاً[1].

مبدأ الأدب في الحديث: Politeness

يفترض وجود هذا المبدأ أثناء التخاطب، ويجدب أن يراعي:

{أ} لا تفرض رأيك أو نفسك.

{ب} أعط المستمع خياراً للإجابة بالرفض أو القبول.

{ج} أشعر المستمع بالسرور والارتياح[2].

تحليل الخطاب:

يمثل هذا المبحث الجانب التطبيقي في هذا البحث، ويقوم هذا الجانب على تطبيق الجانبيين النظريين فيما قد درس في المبحث الأول"التطور الدلالي" والمبحث الثاني "الخطاب" على ثلاثة خطابات للرسول صلى الله عليه وسلم، لأن حدود هذا البحث الزمانية محددة في عنوانه "وهو العهد النبوي".

يتكون هذا المبحث من ثلاثة فروع كل فرع يمثل نص (خطاب) يتم تحليله وتوضيح التطور الدلالي له، وقبل ذلك كله، نوضح كيفية اختيار المادة اللغوية التي تم تحليلها، ومعايير تحليل الخطاب، والتطور اللغوي.

{أ} اختيار المادة اللغوية:

يمثل العهد النبوي الحدود الزمانية للبحث، ويبدأ هذا العهد من بداية البعثة (الرسالة) إلى انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدار الأخرة. وتقوم هذه الدراسة على معرفة تطور دلالة الخطاب في هذا العهد (العهد النبوي) لذلك عند إجراء تحليل الخطاب لابد من اختيار نصوص من العهد ذاته، وقد اخترنا النصوص التالية:

[١] حديث النبي صلى الله عليه وسلم يا صباحاه.

[٢] رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل.

[٣] خطبة حجة الوداع.

---

(١) المرجع نفسه: ٢١٣

(٢) المرجع نفسه: ٢١٣

وأسس الاختيار التي تمت وفقها هذه النصوص تتمثل في:

[١] اختيار نص في بداية البعثة ونص في وسطها والنص الثالث يمثل آخر أيام الرسول صلى الله عليه وسلم.

[٢] النص الأول حديث نبوي شريف، والنص الثاني رسالة من رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك، والنص الثالث خطبة. وبهذا حققنا التنوع.

[٣] وحجم الورقة لا يتحمل أكثر من ذلك.

{ب} تحليل الخطاب: يتطلب أمرين:

الأول: الوقوف على السياق الذي قيل فيه النص، ويتم ذلك بالوقوف على شرح النص في كتب الحديث والسيرة، وهذا يساعد في الأمر الثاني وهو معايير تحليل الخطاب.

الثاني: معايير تحليل الخطاب وهي التي اعتمدناها في ثنايا حديثنا عن الخطاب في المبحث الثالث من هذا البحث (٣-٤) وتتمثل هذه المعايير في الآتي:

معايير التماسك اللغوي[١] وهي:

- الإحالة: استخدام الضمير ليعود على اسم سابق له أو لاحق له.
- الربط: استخدام حروف العطف لإيجاد علاقة بين الجمل في النص.
- الإبدال: استخدام كلمة بدلاً من كلمة أو عبارة سابقة وذلك لتجنب إعادتها.
- الحذف: حذف جزء من الكلام الذي يمكن فهمه وتقديره من السياق.
- الترادف والتكرار: استخدام كلمة أو عبارة مرادفة لعبارة أخرى سابق لها لتجنب إعادة الأولى.
- التركيب المتوازنة: تكرار وحدات لغوية من الفئة النحوية نفسها أكثر من مرة في جملة واحدة.

الموضوعية: يتحدث الخطاب عن موضوع واحد.

الفعل الكلامي: يظهر الفعل الكلامي وأثره والقيمة الاجتماعية له.

مبدأ التعاون في الحديث: تجعل مساهمتك بالقدر الذي يتطلبه الخطاب.

---

(١) انظر المبحث (٣-٤) من البحث.

{ج} تطور الدلالة[1]: ويتمثل في الآتي:

[١] نوع التطور الدلالي. (متسامي/انحطاطي، تخصيص/تعميم، تحول إلى المعاني المضادة).

[٢] خواص التطور الدلالي.

[٣] عوامله.

النص الأول:

ولما نزلت الأية { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}[2]. (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ يَا صَبَاحَاهْ فَقَالُوا مَنْ هَذَا فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ قَالُوا مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ قَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا[3] ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}[4].

سياق النص:

وصف سيد قطب[5] في ضوء تفسيره الآية (وانذر عشيرتك الأقربين) هذا الحديث بقوله: "فهذه الأحاديث وغيرها تبين كيف تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر، وكيف أبلغه لعشيرته الأقربين، ونفض يده من أمرهم، ووكلهم إلى ربهم في أمر الآخرة، وبين لهم أن قرابتهم له لا تنفعهم شيئاً إذا لم ينفعهم عملهم، وأنه لا يملك لهم من الله شيئاً، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو الإسلام في نصاعته ووضوحه".

معايير التماسك اللغوي في النص:

الإحالة: وقد استخدمت الضمائر في هذا النص على النحو التالي:

- واو الجماعة في (قالوا) و(اجتمعوا).

---

(1) انظر المبحث (٢) من البحث.

(2) سورة الشعراء الأية :٢١٤

(3) صحيح مسلم،كتاب الايمان، باب ٨٩،رقم الحديث٣٥٥: ١٩٢-١٩٣

(4) سورة المسد الأية:١

(5) سيد قطب، ١٩٩٤: ٢٦٢٠

- الضمير الهاء في (صباحاه) و(إليه).
- الضمير (تم) في (أرأيتم) و(أكنتم).
- الضمير (نا) في (جربنا) و(جمعتنا).
- الضمير (الياء) في (مصدقي).
- الضمير (التاء) في (أخبرتكم) و(أرأيتم) (أكنتم) و(جمعتنا).
- الضمير (كم) في (أخبرتكم) و(لكم).

الربط: استخدمت حروف العطف التالية:

الحرف	العدد	الكلمات التي سبقها
ف	٥	فصعد، فاجتمع، فقال، فإني، فقال
و	٢	وبين- وأنزل

الإبدال: استخدم "أرأيتم" "أخبرتكم" بدلاً من تكرار "يا بني عبد المطلب"، "يا بني فهر"، "يا بني لؤي".

الحذف: في عبارات: فصعد عليه. ثم نادى. يجيء إليه. يبحث رسوله.

فقد حذف الفاعل هنا ويمكن فهمه وتقديره في السياق.

الترادف والتكرار: يوجد في عبارة: تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا.

التراكيب المتوازية: شمل هذا الحديث هذا المعيار: "بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله"، "بني عبد المنطلب، بني فهد، بني لؤي".

يلاحظ من خلال هذا التتبع لمعايير التماسك اللغوي أنها تحققت بصورة كبيرة في هذا الحديث.

معيار الوحدة الموضوعية: يتصف هذا الحديث بأنه يتحدث عن موضوع واحد، فكل جملة تشكل لبنة أساسية في بناء الحديث وموضوعه يتمثل في الدعوة إلى الإسلام وتوحيد الله.

معيار الفعل الكلامي:

[١] الفعل الصوتي تحقق في عبارة (يا صباحاه).

[٢] أثر الفعل الصوتي على السامع يتمثل في الردود التي تمت بنعم من الحضور.

[٣] الفعل المقصود من القول يتمثل في كلام أبي لهب "تباً لك سائر اليوم. أما دعوتنا إلا لهذا" وهو سخرية. ويلاحظ تحقق معيار الفعل الكلامي في هذا الحديث لأنه حوار دار بين القائل الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل مكة فقد تمت استجابات واضحة متمثلة في قولهم (نعم) وسخرية أبي لهب (تباً لك..). وبذلك يكون معيار الفعل الكلامي قد تحقق في هذا الخطاب.

مبدأ التعاون في الحديث:

[١] من حيث مبدأ النوعية: فقد قدم الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربه الصادقة إلى الناس وهي في مهدها الأول.

[٢] ومن حيث مبدأ الأهمية، وقد كانت المساهمة في الحوار مفيدة من حيث المعلومة التي قدمت وهي ظهور الرسالة الجديدة.

[٣] فقد كان الكلام مناسباً حيث أثبت أولاً صفة الصدق الملازمة له ومن ثم طرح قضيته.

[٤] قد كانت الرسالة واضحة لا غموض فيه ولا تحتمل أكثر من معنى.

ويلاحظ أن مبدأ التعاون في الحديث قد تحقق من خلال تحقق مبادئه الأربع.

التطور الدلالي: يظهر في بعض كلمات الحديث، منها كلمة "النار" التي أصبحت تعني مكان العذاب يوم القيامة. وكذلك كلمة "كذب" التي أصبحت تعني عكس الصدوق. على سبيل المثال لا الحصر وذلك بتخصيص دلالتها.

رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم، أسلم يؤتيك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلون[١]) [٢].

([١]) سورة آل عمران: ٦٤.

([٢]) صحيح البخاري ،كتاب بدء الوحي ، الجزء الأول ،حديث رقم ٦، ص ٤، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٧٤، ص١٣٩٣-١٣٩٤،ومنير محمد الغضبان، ١٩٨٩: ٥١وما بعدها.

سياق هذه الرسالة:

- اختار لحمل هذه الرسالة دحية بني خليفة الكلبي.
- حوار هرقل مع أبى سفيان وجماعته بخصوص هذه الرسالة
- تأكد هرقل من صحة الرسالة وابدى اقتناعه بها.

معايير التماسك اللغوي في الرسالة:

الإحالة:

الضمير	المرجع	الكلمات التي يرجع إليها
هـ	١	رسوله
ك	٤	يؤتيك- أجرك- عليك- بيتكم
و	٥	تعالوا- تولوا- فقولوا- أشهدوا مسلمون
نا	٣	بنينا- أنا- بعضنا
كم	١	بينكم

يلاحظ كثرة الإحالة في هذه الرسالة وعددها (١٤ إحالة) وهذا يدل على تحقق هذا المعيار.

الربط:

حروف العطف	عددها	الكلمات التي سبقتها
الواو	٤	ورسوله- وبينكم- ولا نشرك
الفاء	٣	فإن- فإنَّ- فإن تولوا

وردت في هذه الرسالة (٧) أدوات ربط وهي رسالة قصيرة في حجمها.

الإبدال: استخدام، تعالوا، بينكم، فقولوا، بدلاً من استخدام "أهل الكتاب".

الضمير "الكاف" في "يؤتيك" والضمير "التاء" في "توليت" بدلاً من "هرقل".

الحذف: في الجمل التالية: أسلم، تسلم، تعبد، تشرك: المحذوف هو الفاعل في الجمل وهو الضمير"أنت".

الترادف والتكرار: "تعالوا إلى كلمة سواء" مرادفة لها "لا نعبد إلا الله".

العبارات المتوازية: تولوا- فقولوا- أشهدوا.

يلاحظ في هذا النص توافر معايير التماسك.

معيار الوحدة الموضوعية: يتحدث هذا الخطاب الذي بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عن موضوع واحد وهو دعوته إلى الإسلام. وما يترتب على الاستجابة أو الرفض. وقد امتاز هذا الخطاب بوحدة موضوعه.

معيار الفعل الكلامي: أثر الخطاب الذي وصل إلى هرقل جعله يستدعي أبا سفيان بن حرب ويسأله عن النبي صلى الله عليه وسلم ويجيبه أبو سفيان، ومن خلال هذا الحوار وصل إلى الفعل المقصود وهو صدق الدعوة والذي يتمحور في عبارة هرقل (فسيملك موضع قدمي هاتين).

إن مبدأ النوعية قد توافر في هذا الخطاب فقد أثبته أبو سفيان في حواره مع هرقل وهو كان على الكفر. وقد كان مبدأ الكمية ظاهر حيث كانت المساهمة في الحديث قادت هرقل إلى دعوة أبي سفيان وقومه للتحقق من الخطاب، والشاهد على ذلك استجابة هرقل إلى هذا الخطاب.

إن الخطاب كان موجها يدعو فيه الرسول صلى الله عليه وسلم هرقل إلى الإسلام، وقد امتاز هذا الخطاب بالوضوح والدقة مما جعل الحوار بين هرقل وأبي سفيان يقود إلى النتيجة النهائية التي توصل إليها هرقل.

التطور الدلالي في الخطاب: فقد تطورت دلالة كلمة "أسلم" فأصبحت تعني معنى خاص وهو الدخول في الإسلام. وكلمة الأجر التي أصبحت كذلك تعني الأجر والثواب عند الله تعالى. وكلمة إثم التي أصبحت تعني الذنب، وكلمة نعبد وضدها نشرك اللتان أصبح لهما دلالة إسلامية خالصة. وكلمة مسلم التي أصبحت تعني معتنق دين الإسلام، والجدير بالذكر هنا أن الكلمات أنفة الذكر قد حدث فيها تطور دلالي متسام، فأصبحت تمثل معاني رسالة الإسلام وقيمها السمحة وقد تخصصت دلالتها أيضا.

خطبة حجة الوداع: ألقى الرسول -صلى الله عليه وسلم- على المسلمين خطبته الجامعة والتي بين فيها أصول الدين وفروعه ومبادئه وآدابه، حيث قال: "الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله... أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

أما بعد: أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد. فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

إن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربًا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية .

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيها سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

أيها الناس: إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا، يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ليواطئوا عدة ما حرم الله. وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم: ثلاث متواليات وواحد فرد، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقًا، ولكم عليهن حق: ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة. فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربًا غير مبرح. فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان، ولا يملكن لأنفسهن شيئًا: أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرًا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة. ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فلا ترجعن بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب

بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده، كتاب ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا تجوز لوارث وصية، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش، وللعاهر الحجر من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل، والسلام عليكم ورحمة الله[1]".

سياق الخطاب:

وهكذا كانت خطبة الوداع في حجة الوداع. وهي خطبة جامعة، ووصية رائعة تشير كل فقرة منها إلى ما كان يحس به الرسول -صلى الله عليه وسلم- من قرب الأجل، ونهاية العمر، فهو يبرئ ذمته، ويصفي حسابه مع الناس، حتى لا تعظم مسئوليته أمام رب الناس، وهو يشهد الناس في كل فقرة على أنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة، فيسألهم: ألا هل بلغت؟ ثم يتجه إلى ربه وينادي: اللهم اشهد ... وهو يبدأ الخطبة بقوله: "لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا" ، ثم يقول في ثناياها: "فلا ترجعن بعدي كفارًا... فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده" .

وكل هذه فقرات واضحة الدلالة على أن صاحبها قد فرغ من الدنيا.

معايير التماسك النصي:

[١] الإحالة:

الضمير	واوالجماعة	التاء	كم	ها	هـ	ألف الاثنين
العدد	٢٠	٥	٢٤	٦	١٣	١

النص طويل ولذلك استخدمت فيه الضمائر بعدد كبير

(١) ابن هشام، ١٩٩٨: ٢٢٧

[٢] الربط:

الأداة	و	ف	لكن
العدد	٢٩	١٧	١

[٣] الإبدال: قال: اللهم نعم، في آخر فقرة في الخطبة.

[٤] الحذف: ورد الحذف في جمل كثيرة منها: لا أدري- ألقاكم- فيلؤدها- وكان مسترضعاً- أن يعبد بأرضكم أبداً – أن يطع فيما سوى ذلك.

[٥] الترادف والتكرار:فقد استخدم هذا المعيار في هذا الخطاب مثاله: وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المنطلب وكان مسترضعاً في بني ليث فقتله هذيل.

[٦] التراكيب المتوازية: توجد التراكيب المتوازية في هذا الخطاب، ومثالها:

- فيحلوا ما حرم الله- ويحرموا ما أحل الله
- يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً
- لا تظلمون ولا تظلمون

معيار الفعل الكلامي: الفعل الصوتي في هذا الخطاب يتمثل في عبارة أيها الناس التي تكررت خمس مرات في هذا النص كفعل صوتي. وكانت نتيجة أثر الفعل الصوتي على السامعين الاستجابة التي دلت عليها الفقرة الأخيرة من الخطاب قيماً اجتماعية راقية تتمثل في الحفاظ على الأنفس والحقوق والدماء، وأرساء الخطاب قيم الإخاء، وقد شمل معاني تسهم في تنمية المجتمع ككل ومنها حرمة ما حرم الله وتحليل ما أحل الله.

معيار مبدأ التعاون في الحديث: توافر هذا المعيار في الخطاب الذي بصدد تحليله، فقد كان مبدأ النوعية حاضراً، حيث كان الحديث وحياً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق، حيث كانت المعلومات مفيدة للأمة على مر العصور والأزمان، فقد كان الخطاب وصايا للأمة أرست قيم الإسلام من عدل ومساواة....إلخ.

فقد كان الخطاب واضح الدلالة في كل عباراته وكلماته وجمله ونصه. وقد كان مليئا بالكلمات التي تطورت دلالتها مثل:حرام- حرمة- الأمانة- الظلم- الجاهلية-

الكفر، وقد أصبحت تدل على معان جديدة لم تكن معروفة بهذا المعنى قبل الإسلام، وتسامت دلالتها بعد أن أصبحت نشطة في استخداماتها.

الخاتمة

لم تحظ اللغة العربية بدراسات لغوية كثيرة في مجال تحليل الخطاب، فالدراسات اللغوية تناولت الجملة بالدراسة والتحليل، فقد تخطتها قريباً -حتى في الغرب- إلى دراسة الخطاب أو النص. أما في عالمنا العربي فقد كان هذا الأمر متأخراً وقليلاً الشيئ الذي جعل هذا البحث رائداً في مجاله.

إن النصوص التي تناولها هذا البحث- وعلى قلتها- فإنها قد كانت متسقة مع معايير تحليل الخطاب، فقد توافرت هذه المعاير بأرقام كبيرة قادت إلى التوافق الكبير بين ما توصلت إليه الدراسات اللغوية المعاصرة ممثلة في نظرية تحليل الخطاب، والنصوص العربية القديمة الأصيلة التي كانت مجال الدراسة التطبيقية في هذا البحث.

وقد كان المغزى من التطور الدلالي في الخطاب النبوي هو الإعجاز بعدم قدرة العرب جميعا على الإتيان بمثله. كما إنه لم يعهد أي تطور مماثل له من قبل.

إننا من خلال الوصف والتقصي في دراسة الخطاب فقد توصلنا إلى عدم وجود فرق كبير يذكر بين الخطاب والنص.فهما يمثلان وجهي علم لغة النص.

وفي خاتمة هذه الدراسة نوصي بالآتي:

[١] دراسة السيرة النبوية المطهرة في كل ضروب العلم والمعرفة، ولا تقتصر دراستها على ما هي عليه الآن، وذلك بأن تدرس في مجال اللغويات والاقتصاد والفكر والسياسة والاجتماع والتربية...إلخ.

[٢] تطبيق نظرية نحو النص وتحليل الخطاب على اللغة العربية للاستفادة من نتائجها في تطوير الدرس اللغوي العربي المعاصر.

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم:

[١] إبراهيم خليل، ٢٠١٠، مدخل إلى علم اللغة، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

[٢] ابن هشام، ١٩٩٨، السيرة النبوية، تحقيق جمال ثابت وآخرون، ط٢، القاهرة: دار الحديث.
[٣] أحمد المتوكل، ٢٠١٠، الخطاب وخصائص اللغة العربية – دراسة في البنية والوظيفة والنمط، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون دار الأمان، بالرباط- منشورات الاختلاف.
[٤] بشير عبد الله المساري، ٢٠١١، لغة الخطاب الدعوي، كتاب الأمة العدد ١٤٣، ط٢ الدوحة: إصدارة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.
[٥] سمير شريف استيتية، ٢٠٠٥، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث.
[٦] سيد قطب، ١٩٩٤، في ظلال القرآن، ط٣، دار الشروق.
[٧] شحدة فارع وآخرون، ٢٠٠٠، مقدمة في اللغويات المعاصرة، ط١، دار وائل للطباعة والنشر.
[٨] صحيح البخاري، الرياض، دار إشبيلة.
[٩] صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر بيروت.
[١٠] عبد الله الزبير عبد الرحمن، ٢٠١٠، مرحلية الدعوة ودعوة المرحلة نحو تصويب الخطاب الدعوي المعاصر، مجلة دراسات دعوية، العدد العشرون، يصدرها المركز الإسلامي الإفريقي- جامعة إفريقيا العالمية.
[١١] عصام أحمد البشير، ٢٠١٠، نحو خطاب إسلامي مرتبط بالأصل ومرتبط بالعصر، ط١، منتدى النهضة والتواصل الحضاري.
[١٢] علي عبد الواحد وافي، ١٩٩٧، علم اللغة، ط١٠، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
[١٣] محمد الأخضر الصبحي، ٢٠٠٨، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ط١، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم.
[١٤] محمد منير الغضبان، ١٩٨٩، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ط٥، الأردن: مكتبة المنار.

[١٥] نور الهدى لوشن، ٢٠٠٠، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية الأزاريطة- الإسكندرية.
[١٦] هاشم ميرغني، ٢٠٠٨، بنية الخطاب السردي في القصة القصيرة، ط١/ شركة مطابع السودان للعملة المحدودة.